

تَطْبِيقَاتُ حُسْنِ الْخُلُقِ ١٧ شَوَّالٍ ١٤٤٥ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: شَرَعَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ أَنْوَاعًا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، وَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَةٍ تُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنْ رَبِّهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، بِهَا يَثْقُلُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَرْفَعُ دَرَجَةَ صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو رَبَّهُ فِي صَلَاتِهِ أَنْ يَنَالَ أَحْسَنَ الْأَخْلَاقِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَدَا ابْنَ مَاجَهَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «وَاهِدْنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ». وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوصِي صَحَابَتَهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَاتَّبِعِ السِّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، وَالْأَخْلَاقُ الْحَسَنَةُ مُنْجِيَةٌ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»، وَبَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلدَّعْوَةِ إِلَى الْأَخْلَاقِ الصَّالِحَةِ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ اتَّصَفَ الرُّسُلُ ﷺ بِأَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِهَا، فَنُوِّحَ ﷺ دَعَا قَوْمَهُ تِسْعِمَائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا لَيْلًا وَنَهَارًا، سِرًّا وَجَهَارًا، صَابِرًا عَلَيْهِمْ، وَإِبْرَاهِيمُ ﷺ كَانَ كَرِيمًا، نَزَلَ بِهِ ضَيْفَانُ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ حَنِידٍ، وَإِسْمَاعِيلُ ﷺ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ، وَيُوسُفُ ﷺ قَالَ لِمَنْ كَانَ سَبِيًّا فِي غُرْبَتِهِ وَسَجْنِهِ: ﴿لَا تَرْيِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، وَمُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا لَا يَرَى شَيْءٌ مِنْ جِلْدِهِ، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَكْمَلَ النَّاسَ أَخْلَاقًا، وَصَفَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، نَشَأَ وَعَاشَ مُتَحَلِّيًا بِكُلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، مُتَبَعِدٍ عَنْ كُلِّ وَصْفٍ ذَمِيمٍ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ»، وَكَانَ ﷺ أَكْرَمَ الْخُلُقِ نَفْسًا؛ فَمَا رَدَّ سَائِلًا، وَأَطْلَقَهُمْ وَجْهًا، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ. وَكَانَ ﷺ أَشَدَّ النَّاسِ وَفَاءً، إِنْ

مَرَضَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَتِهِ عَادَهُ، وَإِنْ افْتَقَدَهُ سَأَلَ عَنْهُ، وَكَانَ أَرْحَمَهُمْ قَلْبًا، يَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ إِذَا سَمِعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ كَرَاهَةً أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ، وَالْيَنَّهُمْ طَبْعًا، إِذَا دَخَلَ إِلَى بَيْتِهِ اشْتَغَلَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ. وَكَانَ ﷺ أَعْظَمَ النَّاسِ صَبْرًا، خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ وَالْحَجَرُ عَلَى بَطْنِهِ مِنَ الْجُوعِ فَمَا اشْتَكَى، وَأَوْسَعَهُمْ عَفْوًا، قَاتَلَهُ أَعْدَاؤُهُ وَأَدْمَوْهُ، وَلَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ قَالَ لَهُمْ: «لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». وَكَانَ ﷺ أَوْفَرَ النَّاسِ حِلْمًا، آذَاهُ قَوْمُهُ فَسَأَلَهُ مَلِكُ الْجِبَالِ أَنْ يُطَبِّقَ عَلَيْهِمْ جَبَلَيْنِ فَأَبَى، وَلَمْ يَضْرِبْ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا أَمْرًا، وَلَا خَادِمًا.

عِبَادَ اللَّهِ: عَلَى هَذَا النَّهْجِ الْقَوِيمِ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ سَارَ الصَّحَابَةُ ﷺ، فَكَانُوا ذَوِي خُلُقٍ جَمٍّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ ﷺ، وَفِيهِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ فِي وَصْفِ حَالِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعْتُ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا...»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ. وَكَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ مِثْلًا يُحْتَدَى بِهِ فِي تَبَجُّلِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، قَالَ عُمَرُ ﷺ فِي قِصَّةِ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي «صَحِيحِهِ»: فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: عَلَى رِسْلِكَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّي وَأَوْقَرَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا أَكْرَمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ بِمِثْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَدِمَائَةِ الْخُلُقِ، وَأَصْلُ الْأَخْلَاقِ التَّوْحِيدُ، فَمَنْ فَقَدَهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِغَيْرِهِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». وَإِذَا تَحَلَّى الْمُسْلِمُونَ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ صَلَحَ الْمُجْتَمَعُ، وَكَانُوا دُعَاةَ خَيْرٍ إِلَى الدِّينِ بِالْقُدُورَةِ وَالْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ: أَخْلَاقُ الْمُؤْمِنِ اسْتِقَامَةٌ فِي دِينٍ، وَبَشَاشَةٌ فِي لَبَنِ، وَعَفْوٌ مَعَ إِحْسَانٍ، وَكَرَمٌ فِي الْعَطَاءِ، وَعَطَاءٌ فِي الْفَاقَةِ، وَتَفَرُّجٌ كُرْبَةٍ، وَكَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ، وَإِفْشَاءٌ سَلَامٍ، وَبِرٌّ بِالْوَالِدَيْنِ، وَإِحْسَانٌ لِلْجَارِ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ، فَقَالَ: هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَكَفُّ الْأَذَى. وَاللَّهُ تَعَالَى قَسَمَ الْأَخْلَاقَ كَمَا

قَسَمَ الْأَرْزَاقَ، وَالْقُرْآنَ جَامِعٌ لِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ. فَاقْتَدُوا بِنَبِيِّكُمْ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ، وَسِيرُوا عَلَى نَهْجِ صَحَابَتِهِ الْكَرَامِ، وَكُونُوا بِأَخْلَاقِهِمْ أُسْوَةً لِعَيْرِكُمْ تَتَلَوُا السَّعَادَةَ فِي الدَّارَيْنِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ عَمَلٌ مَرْدُودٌ، وَمَسْلَكٌ دَنِيٌّ، يَمَقُّتُهُ اللَّهُ ﷻ، وَيَبْغِضُهُ الرَّسُولُ ﷺ، بَلْ إِنَّ النَّاسَ عَلَى اخْتِلَافٍ مَشَارِبِهِمْ يَبْغِضُونَ سُوءَ الْخُلُقِ، وَيَنْفُرُونَ مِنْ أَهْلِهِ، فَهُوَ مِمَّا يُنْفِرُ النَّاسَ، وَيَفْرُقُ الْجَمَاعَاتِ، وَيَصُدُّ عَنِ الْخَيْرِ، وَيَصْدِفُ عَنِ الْهُدَى، وَهُوَ مَجْلَبَةٌ لِلْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَمَدْعَاةٌ لِلْكَدَرِ وَضِيقِ الصَّدْرِ، سَوَاءٌ لِأَهْلِهِ أَوْ لِمَنْ يَتَعَامَلُ مَعَهُمْ. فَمَا أَضِيقَ عَيْشَ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ، وَمَا أَشَدَّ بَلَاءَ مَنْ ابْتُلِيَ بِسَيِّئِ الْخُلُقِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ لِلْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ مَسَاوِيَّ كَثِيرَةً، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: سَيِّئُ الْخُلُقِ يَبْغِضُهُ اللَّهُ ﷻ، وَيَبْغِضُهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَيَبْغِضُهُ النَّاسُ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِيَكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرَثَارُونَ، الْمُتَفَيِّهُقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ».

الثَّانِي: سَيِّئُ الْخُلُقِ تُمْلَأُ أُذُنُهُ مِنْ دَمِ النَّاسِ لَهُ شَرًّا. أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ، وَقَالَ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ مَلَأَ اللَّهُ أُذُنِيهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ خَيْرًا، وَهُوَ يَسْمَعُ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنْ مَلَأَ اللَّهُ أُذُنِيهِ مِنْ ثَنَاءِ النَّاسِ شَرًّا، وَهُوَ يَسْمَعُ».

الثَّالِثُ: سَيِّئُ الْخُلُقِ يَجْلِبُ لِنَفْسِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ وَالْكَدَرَ، وَضِيقَ الْعَيْشِ، وَيَجْلِبُ لِغَيْرِهِ الشَّقَاءَ. أَخْرَجَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ» عَنْ أَبِي حَازِمٍ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: سَيِّئُ الْخُلُقِ أَشَقَى النَّاسِ بِهِ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، هِيَ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ، ثُمَّ وَلَدُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَدْخُلُ بَيْتَهُ وَإِنَّهُمْ لَفِي سُرُورٍ، فَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، فَيَنْفِرُونَ عَنْهُ فَرَقًا مِنْهُ، وَحَتَّى إِنَّ دَابَّتَهُ تَحِيدُ مِمَّا يَرْمِيهَا بِالْحِجَارَةِ، وَإِنَّ كَلْبَهُ لَيَرَاهُ فَيَنْزُو عَلَى الْجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ قِطْعَهُ لَيَفِرُّ مِنْهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ لِسُوءِ الْخُلُقِ أَرْكَانًا، وَهِيَ كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمَدَارِجِ»: مَنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ

السَّافِلَةِ، وَبَنَؤُهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ: الْجَهْلُ، وَالظُّلْمُ، وَالشَّهْوَةُ، وَالْغَضَبُ. فَالْجَهْلُ يُرِيهِ الْحَسَنَ فِي صُورَةِ الْقَبِيحِ، وَالْقَبِيحَ فِي صُورَةِ الْحَسَنِ، وَالْكَمَالَ نَقْصًا، وَالنَّقْصَ كَمَالًا. وَالظُّلْمُ يَحْمِلُهُ عَلَى وَضْعِ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَيَغْضَبُ فِي مَوْضِعِ الرِّضَا، وَيَرْضَى فِي مَوْضِعِ الْغَضَبِ، وَيَجْهَلُ فِي مَوْضِعِ الْإِنَاءَةِ، وَيَبْخُلُ فِي مَوْضِعِ الْبَذْلِ، وَيَبْذُلُ فِي مَوْضِعِ الْبُخْلِ، وَيُحْجِمُ فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ، وَيُقَدِّمُ فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ، وَيَلِينُ فِي مَوْضِعِ الشَّدَّةِ، وَيَشْتَدُّ فِي مَوْضِعِ اللَّيْنِ، وَيَتَوَاضَعُ فِي مَوْضِعِ الْعِزَّةِ، وَيَتَكَبَّرُ فِي مَوْضِعِ التَّوَاضُعِ. وَالشَّهْوَةُ تَحْمِلُهُ عَلَى الْحِرْصِ وَالشُّحِّ وَالْبُخْلِ، وَعَدَمِ الْعِفَّةِ وَالنَّهْمَةِ وَالْجَشَعِ وَالذَّلِّ وَالِدَّنَاءَاتِ كُلِّهَا. وَالْغَضَبُ يَحْمِلُهُ عَلَى الْكِبَرِ، وَالْحَقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالْعُدْوَانِ، وَالسَّفَةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِسُوءِ الْأَخْلَاقِ بَعْدَ حُسْنِهَا أَسْبَابًا، مِنْهَا:

الْأَوَّلُ: ضَعْفُ الْإِيمَانِ. فَإِلَيْمَانٍ مَدْعَاةٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَضَعْفُهُ مَدْعَاةٌ لِكُلِّ سُوءٍ خُلِقَ وَشَرٌّ.

الثَّانِي: انْشِغَالُ الْعَبْدِ بِعُيُوبِ النَّاسِ، وَغَفْلَتُهُ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ. فَهَذَا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ بِالْعَبْدِ، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «الصَّصْمَتِ» عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ مُوَلَّعًا بِعُيُوبِ النَّاسِ، نَاسِيًا لِعَيْبِهِ، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ مُكِرَ بِهِ.

الثَّالِثُ: مُصَاحَبَةُ الْأَشْرَارِ. لَا شَكَّ أَنَّ الْمُخَالَطَةَ تُؤَثِّرُ فِي الْمَرْءِ، وَلَوْ كَانَ الْمُخَالِطُ مِنَ الْبَهَائِمِ الْعَجَمَاوَاتِ، فَكَيْفَ بِالْأَدَمِيِّ؟! أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَصْحَابِ الْإِبْلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ». وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ حَذَّرَ السَّلَفُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ مُصَاحَبَةِ سَيِّءِ الْخُلُقِ، أَخْرَجَ الْمَاوَرِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أَدَبِ الدُّنْيَا وَالِدِّينِ» عَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَاءِ الدَّاءِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: الْخُلُقُ الدَّنِي، وَاللِّسَانُ الْبَذِي. وَأَخْرَجَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حَبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ» عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: لَا تُخَالِطْ سَيِّءَ الْخُلُقِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَّا إِلَى شَرٍّ. وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ.